

دراسات المستشرقين عن الإمام الحسن السبط عليه السلام دونالدسون أنموذجاً^١

علي زهير هاشم الصراف^٢

المقدمة

يعد كتاب مذهب الشيعة أو عقيدة الشيعة^٣ للمستشرق البريطاني دوايت م. دونالدسون^٤ من الدراسات الاستشراقية المبكرة الشاملة عن الأئمة الإثني عشر عليهم السلام ودراسة في الجغرافية التاريخية لمزاراتهم في النصف الأول من القرن العشرين وتعد مدوناته لمشاهداته المباشرة عن تلك المشاهد بعد أن سافر إليها وزارها من ضمن رحلات المستشرقين للبلاد الإسلامية ويمكن عدّها ذات أهمية بوصفه قدم صورة وصفية لما كانت عليه تلك المشاهد في زمن كتابة بحثه حيث تمكن من العيش لمدة ما يقارب ستة عشر عاماً في مشهد الإمام الرضا عليه السلام وأنهى كتابة بحثه هذا هناك بحدود عام ١٩٣٣ م كما أرخ ذلك في تصديره للكتاب

١. المصدر: مجلة دراسات استشرافية، السنة السابعة، العدد ٧، ربيع ٢٠١٦ م / ١٤٣٦ هـ.

٢. المدرس المساعد مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة.

3. *The Shiite Religion*.

4. Dwight M. Donaldson

وتمكن من دراسة مشهده دراسة قريبة وأشمل من بقية المزارات. وتطرق في الفصول الأخيرة من كتابه لتاريخ التشيع في القرن الرابع الهجري وبالتحديد درس الدولة البويهية ثم ذكر بدايات جمع الحديث عند الشيعة وتطرق بشكل سريع لتاريخ العلوم الدينية والاجتهاد عند الشيعة الإمامية من سقوط الدولة البويهية حتى العصر الصفوي ومن بعده تكلم على بعض عقائد الشيعة الإمامية مثل العصمة والشفاعة ومن ثم تكلم عن بعض الفرق التي تنتسب للتشيع وخص منها الإسماعيلية والبابية والبهائية.

وكان قد عدَّ قسمًا من دراسته هذه في بادئ الأمر لتكون أطروحة لنيل درجة الدكتوراه وقارئ الدراسة هذه يجد أنها كتبت بشكل سلس وعند ما يذكر الآراء الخلافية يحاول أن يلجأ إلى المصادر التاريخية وكتب التراجم المعتبرة لدى جمهور المسلمين لكنه يخلط هذه المعادلة بالإفادة المفرطة من المصادر القصصية وغير المعتبرة، الشيعة والسنية المتأخرة مما يفسد عمله ويجعله يقع في هفوات وشطحات عدة، وفي مجملها تعد دراسة وصفية لعصر كل إمام ، وقد ذكر الجانب السياسي ومواقف كل إمام من أحداث عصره وأنه كتب دراسته هذه لسد فراغ كان يراه في معلومات الغرب والغربيين إزاء الشيعة والتشيع كما صرح بذلك في تصديره للكتاب حيث نقل عن المستشرق البريطاني براون قوله ما زلنا نفتقر إلى مؤلف شامل ومعتبر عن عقيدة الشيعة بأية لغة غربية.

وهذا الشمول الذي تتصف به هذه الدراسة والنوعية العلمية التي اندرجت تحت إطاره من أنها أطروحة دكتوراه والمدة الزمنية التي تم تصنيفها يعني الربع الأول من القرن المنصرم حيث كانت بريطانيا قد بسطت سلطتها الاستعمارية على المزارات الشيعية في العراق وإيران جعلتها تحتاج إلى التعرف على الطائفة

الإمامية الذين يقطن معظم أتباعها في هذين البلدين مما جعلنا نستنتج أنه يمكن أن تكون هذه الدراسة قد كتبت في جانبيين: علمي وسياسي حتى يتسنى لبريطانيا التعامل مع هذا المشرب الفكري الإسلامي ومعرفة تطلعات معتنقي هذه الطائفة الإسلامية ، ومما يزيد من هذا الاحتمال أن المستشرق دونالدسون كان مبشراً وكان يعمل مع المبشر الأمريكي كانون سيل وصموئيل زويمر رئيس تحرير مجلة العالم الإسلامي.

كتب المستشرق دونالدسون عن الإمام الحسن السبط عليه السلام في الباب السادس من كتابه عقيدة الشيعة سرداً تاريخياً بأحداث عصره وسيرته وقد أخذ معلوماته عن بعض المصادر المعتبرة والقصصية غير المعتبرة لكنه لم يخف انطباعاته العامة عن شخصية الإمام الحسن عليه السلام وسيرته وملابساتها فقد وقع في أخطاء جسيمة ونسب لشخصه الكريم مجموعة من الأباطيل والأكاذيب من دس أقلام السلطة وقد دخلت بعضها التراث الشيعي فذكر هذه المداخل الزائفة في المصادر الشيعية دليلاً على صحة كلامه وهي في الحقيقة عارية عن الصحة متناً وسنداً كما سنبين ذلك ونقف على المصادر العامة والخاصة ونرى أنها تتعارض مع سمو شخصية الإمام الحسن عليه السلام وعلو شأنه ؛ وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أولاً

إن العنوان العريض والمسألة المهمة التي حاول المستشرق دونالدسون التركيز عليها في صفحات بحثه عن الإمام الحسن عليه السلام هي عدم صلاحيته وكفاءته للخلافة وقيادة الأمة الإسلامية وهذا واضح في جنبات بحثه وقد صرح بالسبب الذي دعاه إلى أن يعتقد بذلك بعد أن بيّن بعض الروايات الدالة على

شبه الإمام عليه السلام بجده المصطفى جسدياً ، قائلاً : «إلا أنه مهما كانت درجة التشابه الظاهري مع النبي صلى الله عليه وآله فإن الأخبار تدل على أن الحسن كانت تنقصه القوة المعنوية والشجاعة والضبط النفسي والقابلية العقلية لقيادة شعبه...»^١.

وقد استقى هذه المعلومة من سلفه المستشرق البلجيكي والأب اليسوعي الحاقّد على الإسلام والأئمة المعصومين عليهم السلام هنري لامنس^٢ كما أشار في تمة كلامه السابق وسنقف على شخصية هذا الرجل ونذكر رأي بعض الناقدين لما كتبه عندما نحلل مصادر دونالدسون في نهاية هذا البحث ، وفي معرض الإجابة على هذه الأكذوبة نقول: سنقف على قوة شخصية الإمام الحسن المجتبي عليه السلام وثبات مواقفه السياسية عندما نحلل مواجهته عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان وسنرى كيف أنه عليه السلام بهدنته مع معاوية بعدما اضطرت الظروف لذلك بين زيف هذا الأخير وعدم صلاحيته لتولي خلافة المسلمين فرأى دونالدسون هذا لم يكن خاضعاً لحرية الفكر ولم يحتضن الدليل بجميع أحواله بخلاف لامنس الذي كان قد تكلم بدوافع الحقد والعداء للإسلام.

إنّ مسألة هذنة الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية كانت من أعظم الأمور التي ابتليت به الشيعة فقد رفض كبار الشيعة هذا الأمر وعاتبوا الإمام الحسن عليه السلام على مثل هذه الخطوة وبعضهم جعل يشنع عليه ولهذا يجب على الباحث أن يحيط بحيثيات هذه القضية إحاطة من جميع النواحي وبخاصة أنها صدرت من شخصية مهمة لها شأن كبير في الإسلام ليكون رأيه قريباً من الصواب وبعيداً عن الخطأ لاسيما إذا علم أنه من أهل البيت عليهم السلام الذين سياستهم كانت لا تتذرع

١. دونالدسون، عقيدة الشيعة، ٨٩.

٢. لامنس، دائرة المعارف الإسلامية، مادة: «الحسن بن علي بن أبي طالب»، ٧: ٤٠٠ - ٤٠٣.

بالوسائل التي شجبها الإسلام في سبيل الوصول إلى الحكم. وفي تحليل أسباب هذنة الإمام الحسن بن علي عليه السلام نعلم عظم شخصيته وثبات مواقفه وإيكم بعض أهم الأسباب التي دعت الإمام الحسن المجتبي عليه السلام إلى مهادنة معاوية: من أعظم ما تواجهه كل دولة حين تتصف بالوهن بأن تختلف أركان جيشها وتعصي الجند القيادة العامة وقد مني جيش الإمام الحسن عليه السلام بهذا الداء العضال بخلاف ما كان عليه جيش معاوية الذي ظل موالياً لحكومته نتيجة للجهل وكان جيش الإمام الحسن مختزقاً من قبل الحزب الأموي والخارجي اللذين كانا لا يريدان للدولة الهاشمية أن تقوم لها قائمة.

أمّا الحزب الأموي فهم أبناء الأسر البارزة وذوو البيوتات الشريفة الذين لا يهتمهم غير الزعامة الدنيوية والظفر بالمال والسلطان أمثال عمر بن سعد وقيس بن الأشعث وعمر بن حريث وحجار بن أبجر وعمر بن الحجاج وبعض العيون والجواسيس الذين زرعه معاوية في جيش الإمام الحسن عليه السلام وكانوا في الحقيقة أهم عنصر مخيف في الجيش فقد وعدوا معاوية باغتيال الإمام أو بتسليمه أسيراً كما قاموا بنشر الأراجيف والإرهاب في نفوس الجيش بقوة معاوية وضعف الحسن عليه السلام.

أمّا الحزب الخارجي فقد أخذ على نفسه الخروج على النظام القائم ووجوب الخروج على ولي أمر المسلمين إذا لم ينتم إليهم وهو عندهم جهاد ديني تجب التضحية في سبيله ، وقد انتشرت هذه المبادئ في جيش العراق انتشاراً هائلاً إذ استولوا على عقول السذج والبسطاء. وقد كان أنصار هذا الحزب يكونون أشد العداء والبغضاء لبني هاشم والحزب الهاشمي فقد وُتروا أشد وتيرة يوم النهروان كادت أن تقضي عليهم برمتهم فأبرزوا هذا الغيظ والحقد بقتل أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأردوه في محرابه صريعاً ، كما اغتالوا الإمام الحسن عليه السلام وطعنوه في فخذه وحكموا بتكفيره فكانت خطة الإمام في مواجهة هؤلاء المندسين أن أمر جيشه بالقبض عليهم وقتلهم وكتب كتاباً لمعاوية يخبره بعلمه بهم ويحذره من عاقبة هذا الأمر وأنه جاهز للقتال ويمهد لذلك^١ وكان عليه السلام في سلسلة مراسلاته مع معاوية قد أكد على أحقيته بالخلافة وزيف دعوى معاوية ودعاه إلى العدول عن دعواه.

وكانت جيوش الكوفة قد أصيبت بالسأم والكلل جراء الحروب المتتالية التي فرضت عليهم في عهد الإمام علي عليه السلام بعد ما أنصبت جهودهم في الفتوحات الإسلامية فقد طحنت الحروب المتكررة فيها جمعاً غفيراً منهم حتى أصبحوا يكرهون الحرب ويؤثرون السلم ويحبون العافية مضافاً لقله الغنائم التي حصلوا عليها^٢ من حروب الجمل وصفين والنهروان، إذ لم يعامل قتلى العدو معاملة الكافرين بعدما أمر الإمام علي عليه السلام بجمع ما كان في المعسكر من غنائم بعد واقعة الجمل وبعث به إلى مسجد البصرة حتى يأتي من عرف شيئاً فيأخذه^٣.

وأيضاً من الأسباب التي ساعدت على تفكك الجيش العراقي هي افتقاره للقوى الواعية من أعلام الشيعة الذين آمنوا بأفضلية أهل البيت عليهم السلام وأولويتهم لخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله والذين كان لهم الولاء والتقدير في نفوس جيش العراق وكان لهم شأن كبير في تنظيم الحركة العسكرية وتوجيه الجيش في خدمة الأهداف السامية أمثال الصحابي العظيم عمار بن ياسر والقائد البطل هاشم بن عتبة

١. أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبين، ٦٢ - ٦٣.

٢. م.ن.، ٦٣ - ٧٠.

٣. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤: ٥٣٨ - ٥٣٩.

المقال وثابت بن قيس وخزيمة بن ثابت المعروف بذِي الشهادتين ونظائرهم من الذين سبقوا إلى الإسلام والإيمان فقد ذهبوا شهداء وضحية حرب صفين التي أثارها الطامعون والمنحرفون عن الإسلام ضد وصي رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أصيب عسكر العراق بفراغ هائل وابتلى بالمنافقين والخوارج ولو كان في جيش الإمام الحسن عليه السلام مثل أولئك الأخيار الأبرار لما التجأ إلى الهدنة مع خصمه.

ومما زاد الطين بلة هو خيانة وخذلان عبيد الله بن العباس القائد العام لقوات جيش المقدمة نتيجة إغراءات معاوية فقد عمد معاوية إلى بذل الأموال بسخاء للوجوه والأشراف والزعماء فغدروا بالإمام وانسحبوا من معسكره في غلس الليل وخذّلوا عشائرهم وجبّئوهم من البقاء^١ تحت راية الإمام الحسن عليه السلام وفتحت باب الخيانة والغدر ومهدت السبيل للالتحاق بمعاوية وقد وجد ذوو النفوس الضعيفة مجالاً واسعاً للغدر بخيانتهم للإمام فاتخذوا من غدر عبيد الله وسيلة لذلك فهو ابن عم الإمام وأقرب الناس إليه.

وكانت قوة الإشاعات التي كانت تبثها عيون معاوية والحزب الأموي في جيش الإمام الحسن عليه السلام لها أكبر تأثير في اضطرابه فقد أشيع نبأ قتل قيس بن سعد بن عباد خليفة عبيد الله بن العباس على الجيش وأشيع أنه قد صالح معاوية، وأشدها فتكاً عندما أرسل وفد من قبل معاوية للتفاوض فأخذ هذا الوفد يشيع بأن الإمام عليه السلام قد أجابهم إلى الصلح^٢ كان في جيش الإمام عليه السلام ولو كان في جيش الإمام عليه السلام من ذوي البصائر الذين لم يكونوا بقلّة في جيوش الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وقاموا بوجه هذه الشائعات لما اضطّر الإمام إلى الهدنة مع معاوية.

١. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢: ١٢١ - ١٢٢.

٢. م.ن.، ١٢٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥: ١٥٩.

والمسألة الأخرى التي دعت الإمام إلى الهدنة هي قوة الخصم وثبات موقفهم مع أميرهم معاوية فقد صب جميع جهوده المادية والمعنوية في إصلاح جيشه وتقويته لقرب الشام مع الروم فكان يعقد الهدنة مع الروم ويدفع لهم أموالاً لكي لا يفتح باب الحرب معهم^١ ولم يستعمل الجيش في الفتوح ولم يكن ولج به حرباً غير صفين وكان قد عد العدة لحرب ریحانة رسول الله ﷺ وسبطه الأكبر، أضف إلى ذلك ما كان يملك معاوية من دهاة شر طمعوا بهاله وديناه كالمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وغيرهم في مقابل تحاذل جيش العراق لما كان يحتويه من المندسين من الحزب الأموي والخارجي الحروري وكذلك ضخامة الأموال التي كان يمتلكها معاوية إذ أغرى بها الصديق والعدو مما أدى إلى تمزيق جيش الإمام الحسن (عليه السلام).

ومن الأمور المهمة التي جعلت الأمام يقبل بالهدنة مع معاوية التي فيها دلالة واضحة على حنكته السياسية وعدم مجازفته بعد أن رأى الأمور جميعاً ليست في صالحه وأن حقن دمه ودماء الشيعة أولى، وقد أكد على هذا الأمر تكررًا عندما اعترض عليه حتى خلص الشيعة حينما أسفوا أن تكون أمورهم قد أوصلتهم إلى مهادنة معاوية فتجراً بعضهم على سيدهم وإمامهم ووصفه بمذل المؤمنين فكان قد أجابه بكل صبر وملء قلبه الأسى وبخطى ثابتة متأكد من تصميمه على ما فعله من حقن لدماء المؤمنين قائلاً: «ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أرفع عنكم القتل»^٢.

والأهم والأخطر من ذلك والذي نظر الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) فيه بعين

١. ابن الأعمش، الفتوح، ٢: ٥٣٩؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٢: ٣٨٧.

٢. الدينوري، الأخبار الطوال، ٢٢١؛ الطوسي، إختيار معرفة الرجال، ١٠٥ - ١٠٦؛ الطبري، دلائل

البصيرة الربانية بأنه إن حارب معاوية فإن المنافقين في جيشه وهم ليسوا بقلّة سيسلموه أسيراً وأن معاوية لا يقتل الحسن بل يخلي سبيله وبذلك سيكون ممّناً لبني هاشم وسيتخلى عن عارة الأبدي فهو طليق ابن طليق لرسول الله صلى الله عليه وآله وقد صرح الإمام عليه السلام بهذا المعنى قائلاً: «وَاللّٰهُ لَوْ قَاتَلْتُ مُعَاوِيَةَ لَأَخَذُوا بِعُنُقِي حَتَّى يَذْفَعُونِي إِلَيْهِ سَلَمًا وَاللّٰهُ لَئِنْ أَسَالِمَهُ وَأَنَا عَزِيْزٌ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَقْتُلْنِي وَأَنَا أَسِيرٌ أَوْ يَمُنَّ عَلَيَّ فَيَكُوْنَ سُنَّةً عَلَى بَنِي هَاشِمٍ آخِرَ الدَّهْرِ وَلِمُعَاوِيَةَ لَا يَزَالُ يَمُنُّ بِهَا وَعَقِبُهُ عَلَى الْحَيِّ مَنًّا وَالْمَيِّتِ»^١. فأين من يقول بضعف شخصية الإمام عن مثل هذه التصريحات والمواقف الثابتة التي تنم عن إنسان عظيم وقائد مرشد حكيم وقد أوتي العلم والحنكة السياسية بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فالأسر قد عبّر عنه بالقتل وكان يريد أن معاوية لا يقتله بل يأسره ثم يفتديه وهذا العمل بمثابة القتل لإمام المسلمين مشفعاً ذلك بالأيّمان المغلطة وهو أصدق القائلين عليه السلام.

وفي النهاية بين الإمام الحسن عليه السلام للأمة الإسلامية والأجيال اللاحقة زيف ادّعاءات معاوية من تظاهر بالإسلام واهتمام بشؤون المسلمين من خلال شروط الصلح فالباحث المنقب يرى حكمة الإمام العميقة وعلمه الدقيق بواقع حال معاوية فجعل في بنود الصلح أموراً هي في الضد تماماً مع جوهر معاوية المعادي للإسلام العلوي الهاشمي ولا جرم أن الذي جبلت طينته على العداء التام لهذا الخط الأصيل أن لا يفي لهم بشيء ولا يرى لهم أقلّ ذمة من دون أن يتنبه لنفسه منها هي أقلام السلطة تصف تشوقه بالصلح مع الإمام الحسن عليه السلام وكيف كان يذيع الإشاعات قبل أن يقدم على هذا الأمر، ومن ثم هو الذي بعث بالصحف

١. الطبرسي، الاحتجاج، ١: ٢٩٠. وقد ذكر الشيخ الصدوق رحمته الله رواية تدل على أن معاوية لم يرع في

الله ذمة لشيعته الإمام الحسن عليه السلام أبداً ولولا صلحه لما بقيت لهم من باقية حيث روي عنه ٧: «لولا ما

أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل». ينظر: الصدوق، علل الشرائع، ١: ٢٤٩.

البيضاء المختومة طالباً من الإمام (عليه السلام) إدراج أي شرط أراد ورغب ويرى معاوية يطير فرحاً بقبول الإمام (عليه السلام) مهادنته^١ ثم نكت بعد أن دخل الكوفة فقام فيهم خطيباً فقال: «... ألا إن كل شيء أعطيته للحسن بن علي تحت قدمي هاتين!! لا أفي به...». وفي رواية أخرى: «... إني والله ما قاتلتكم لئصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك ولكنني قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون»^٢. وفي رواية أخرى: «ألا وإني طلبت بدم عثمان! فقتل الله قاتله!! ورد الأمر إلى أهله رغم معاطس أقوام!!، ألا وإنا قد أجلناكم ثلاثاً فمن لم يبايع فلا ذمة له ولا أمان له عندنا...»^٣ وقد شنع بعض من أرباب السير والتاريخ هذه الخطبة ووصفوها بالعيية الفاحشة^٤ وقد ابتدأها بسب أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) وقد ردَّ عليه الإمام الحسن (عليه السلام) ثم قام من المجلس ولم يصل هناك بعد ذلك أبداً^٥.

ونتساءل هنا كيف نصف من استغل المهادنة مع خصمه أحسن استغلال ووضع بنوداً موافقة مع أصول الإسلام الصحيح الذي لا يتلاءم مع ذات عدوه اللدود، وبذلك كشف حقيقته أمام الأمة الإسلامية وإن تاريخ عدوه قبل فعله هذا كفيلاً بما قام به، فهل الذي قام بهذا الدور العظيم رجل ضعيف النفس تنقصه الشجاعة والقابلية العقلية لقيادة شعبه، كما تخرص بذلك دونالدسون وسلفه لامنس أم هو في غاية الحكمة والحنكة السياسية والشموخ والعلو الروحي والمعنوي.

١. المقرئزي، إمتاع الأسعاع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ٥: ٣٥٨.

٢. الاصفهاني: مقاتل الطالبين، ٧٧.

٣. البلاذري، أنساب الأشراف، ٢: ٣٨٩.

٤. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٣: ٢٧٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤: ١٣٩.

٥. الطبرسي، الاحتجاج، ١: ٢٨٢.

ثانياً

التهمة الكبرى الأخرى التي حاول دونالدسون لصقها بالإمام الحسن عليه السلام من دون وجه حق وافتراء عليه جاءت في كتابه: «وقد قضى زهرة شبابه في الزواج والطلاق حتى بلغ من تزوجهن المائة ، وسمي المطلق وخلق لعل أعداء خترين»^١ مستنداً لكلام سلفه لامنس في دائرة المعارف الإسلامية^٢.

وقد استدلل على كلامه ببعض الأباطيل المدسوسة في بعض كتب الشيعة قائلاً: «ويعترف الشيعة أنفسهم أنه كان للحسن ستون زوجة وعدد كبير من السرايا فنقرأ أن عدد نسائه الشرعيات بلغ الستين عدا السرايا أو اللواتي تمتع بهن ، وقد ذكر أن عددهن كان بين الثلاثمائة والتسعمائة وقد طلق كثيراً منهن فسمي بالمطلق. وقد بلغت علياً عدة شكايات من أناس بارزين في أن الحسن كان يتزوج بناتهم ولا يلبث أن يطلقهن ، وكان الجواب الوحيد لعل هو أن لا ينكحونه بناتهم»^٣ مستنداً بذلك لكتاب شيعي قصصي مغمور وهو عقائد الشيعة للميرزا آقاسي الذي سنقوم بتعريفه عندما نحلل مصادر معلومات دونالدسون في نهاية البحث.

وفي معرض الإجابة عن هذه التهمة نقول: قد وردت بعض الروايات المغرضة من قبل أقلام السلطة الأموية والعباسية وقد تسربت بعض تلك المفاهيم الباطلة لكتب الشيعة المعتمدة وغيرها وسنقف على تلك الروايات في كتب الفريقين:

١ . دونالدسون، عقيدة الشيعة، ٨٩.

٢ . لامنس، دائرة المعارف الإسلامية، مادة: (الحسن بن علي بن أبي طالب)، ٧: ٤٠٠ - ٤٠١.

٣ . دونالدسون، عقيدة الشيعة، ٩٠.

أ. الروايات في مصادر أهل السنة:

هناك خمس عشرة رواية في المصادر السنية تتهم الإمام الحسن (عليه السلام) بمثل هذه التهمة الشيعة وقد وردت في مصادر عدة^١.

وفي المحصلة أن سند جميع تلك الروايات ضعيف لوجود كذابين ووضاعين مثل محمد بن عمر الواقدي^٢ والمدائني^٣ وأبو القاسم علي بن إبراهيم^٤ وغيرهم^٥. ومن ناحية المتن ففي مثل تلك الروايات إشكالات عديدة وأنها متناقضة، فمنها أن أسماء أزواج الإمام (عليه السلام) اللواتي قام بطلاقهن وأنسابهن غير معلوم وفيها دلالة واضحة على أن هذا الإتهام قد أطلق جزافاً.

فأبو الحسن المدائني الذي أطلقت عليه المصادر لقب النسابة العالم^٦ نسب

١. وردت تلك الروايات في الطبقات الكبرى لابن سعد وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر وتهذيب الكمال للزمري وتهذيب التهذيب لابن حجر وسير أعلام النبلاء للذهبي وغيرها من المصادر. وقد قام بذكر تلك الروايات ونقدها الشيخ وسام برهان البلداوي وبيّن زيفها ورييها متناً وسنداً كل على حدة. ينظر: البلداوي، القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن، ٧، ٦٠ - ٢٠٨.

٢. من أشهر كتبه: المغازي النبوية، ضعفه أهل الحديث ورموه بالكذب تارة وبالوضع تارة أخرى وحكموا بعدم حجّية رواياته المسندة فضلاً عن التي يرسلها أو يحدثها عن نفسه بلا إسناد. للمزيد من التفاصيل عن آراء المحدثين حول الواقدي ظ: البلداوي، القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن، ٦١ - ٦٤.

٣. من المتهمين بالكذب في الحديث وذكر أن مسلم في صحيحة قد امتنع من الرواية عنه وأن ابن عدي قد ضعفه ويروي عن عوانه بن الحكم المعروف بولائه لعثمان والأمويين بالإضافة إلى أن أكثر رواياته من المراسيل. للتفاصيل ينظر: البلداوي، القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن، ١١٤ - ١١٩.

٤. من أشد المبغضين للشيعة إذ وصى قبل موته أن لا يحضره ولا يتولاه أحد من الشيعة. قال الذهبي: «... وأوصى... أن لا يتولاه أحد من الشيعة...». ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢: ٢٠٤.

٥. للتفاصيل ينظر: البلداوي، القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن، ٦٠ - ٢٠٨.

٦. الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها من غير أهلها ووارديها، ١٣:

٥١٨؛ الذهبي، سير النبلاء، ٧: ٥٤١.

للإمام الحسن عليه السلام سبعين زوجة^١ وسمّى إحدى عشرة منهن فقط^٢. أضف إلى ذلك أنّ الخلاف العجيب والشاسع بين تعداد أزواجه عليه السلام أيضاً دليل على اختلاف مثل هكذا روايات فقد عدت زوجاته من الحرائر وأمّهات الأولاد من سبعين^٣ زوجة إلى ثلاثمائة^٤ وذريته عليه السلام قد سجلها المؤرخون ما بين سبع^٥ وخمس وعشرون^٦ وهو رقم طبيعي غير دال على كثرة زوجاته أبداً. وإذا كان الإمام الحسن السبط عليه السلام مطلقاً فلم لم يطلّق عدوته اللدودة التي أودت بحياته وهي جعدة بنت الأشعث التي اعترف دونالدسون بما كانت تكن من عدا له^٧ وكان عليه السلام صابراً محتسباً يتحمل أذاها وهي التي قامت باغتياله مرات عدّة^٨ فأين صفة المطلاق من الإمام الحسن عليه السلام وهل كانت هذه الزيجات المريبة لو صحت يغفل عنها عدوه اللدود معاوية فيتخذها مغنماً للتشهير بالإمام عليه السلام^٩. وفيما يبدو أنّ مثل هذه الروايات قد حيكت من قبل العباسيين على آل علي عليه السلام وبالتحديد في عصر المنصور الدوانيقي حينما صعدوا على أكتاف العلويين وباسم ظلامتهم فثارت الأسرة العلوية بوجههم عندما استتب لهم الأمر وكان لآل الحسن عليه السلام النصيب الأوفر من تلك الثورات، فلذا عمد المنصور بدس مثل

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦: ٢٢.

٢. م.ن.

٣. م.ن.

٤. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٤: ٣٤.

٥. المقدسي، سير النبلاء، ٥: ٧٥.

٦. الهاشمي البصري، ترجمة الإمام الحسن، ٧: ٢٧-٢٨.

٧. دونالدسون، عقيدة الشيعة، ٩٣.

٨. م.ن.، ٩١ - ٩٣.

٩. ينظر: البلداوي، القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن، ٢٥٩ - ٢٨١.

تلك الروايات للتقليل من شأنهم وشأن جدهم الحسن السبط (عليه السلام) إذ صرح ببعض ما يكتنه ضميره عند ما تكلم على منبر الهاشمية بعد أن ألقى القبض على عبد الله بن الحسن^١.

والذي يجعل الباحث ينحاز إلى مثل هذا الرأي أنه لم ترد في مراسلات الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية الكثيرة نسبياً مثل هذا الأمر أضف إلى ذلك أن نفس الطلاق قد عد في سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبغض الحلال فكيف يكون سبط رسول الله من يخالف سنة جده (صلى الله عليه وآله) ويكون مطلقاً وهو الأولى بالتمسك بها كما رأينا في شأن زوجته جعدة بنت الأشعث.

ب . الروايات في المصادر الشيعة:

هناك ست روايات ذكرتها المصادر الشيعة وردت في أماكن مختلفة^٢. هذه الروايات أيضاً فيها إشكالات سندية ففيها من الواقفة مثل حميد بن زياد^٣ والحسن بن محمد بن سماعة^٤ وغيرهما وقد وردت أحاديث كثيرة في ذم الواقفة

١ . ينظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣: ٣١١.

٢ . ورد اثنان منها في كتاب الكافي للشيخ الكليني واثنان آخرين في كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي ورواية واحدة في مستدرک الوسائل للميرزا النوري وأخرى في مناقب ابن شهر آشوب وقد حصل خطأ عند الباحث البلداوي عندما حلل رواية ابن شهر آشوب في سياق روايات المصادر السنية كما قام بتحليل معطيات الروايات المدسوسة في المصادر الشيعة وحللها أحسن تحليل من وجهة نظر المذهب الإمامي. ينظر: البلداوي، القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن، ١٥٨-٢١١، ١٥٩-١٦٥.

٣ . حميد بن زياد بن حماد الدهقان أبو القاسم كوفي سكن سورا وانتقل إلى نينوى قرية على العلقمي إلى جنب الحائر على صاحبه السلام كان ثقة واقفاً وجهاً فيه... ومات حميد سنه عشر وثلاثمائة. ينظر: النجاشي، فهرست أسماء مصنفی الشيعة، ١٣٢.

٤ . الحسن بن محمد بن سماعة أبو محمد الكندي الصيرفي: من شيوخ الواقفة كثير الحديث فقيه ثقة وكان

بل يوجد في كثير منها تصريح بكفرهم ونصبهم وأنهم مرتدون عن الحق^١ وقد اشتهروا بالكلاب الممطورة عند أصحابنا الإمامية والكلاب إذا أصابها المطر فهي أنتن من الجيف^٢.

وفي بعض تلك الروايات الإسناد ضعيف وفيها رواية مجهولون كالحسن بن مجاشع^٣ أضف إلى ذلك ضعف مصادرها عدا الكافي للشيخ الكليني فالبقية يعتبرن من المصادر الثانوية في الحديث عند الشيعة كدعائم الإسلام للقاضي النعمان والمناقب لابن شهر آشوب وكشف الغمة للاربلي.

أما من ناحية المضمون والمتن فهذه الروايات مخالفة لسيرة أهل البيت عليهم السلام لأنهم كانوا مثال رحمة الله في الأرض حتى مع أعتى أعدائهم فكيف بزوجاتهم وكيف يخالفوا حدود الله وسنة رسوله صلّى الله عليه وآله في تعدد الزوجات والإفراط في الجواري.

ففيها إيذاء للنفس البشرية فضلاً عن مخالفة السنن فهم عدل القرآن وخلفاء الرحمن وأوصياء رسول الله صلّى الله عليه وآله فقد كان الإمام الحسن المجتبي عليه السلام قد حافظ على عرضه وزوجاته حتى أنه لم يطلق من تحمل الأذى منها وهي جعدة بنت الأشعث.

يعاند في الوقف والتعصب. النجاشي: فهرست أسماء مصنفى الشيعة، ٤٠ - ٤١.

١. لمزيد من التفاصيل عن الواقعة وتاريخ نشأتها وتطورها ينظر: الناصري، فهرست أسماء مصنفى الشيعة، ج ١ و ج ٢.

٢. ينظر: النوبختي، فرق الشيعة، ٨١ - ٨٢.

٣. ينظر: البلداوي، القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن، ٢٥٧.

ثالثاً

ومن شطحات المستشرق دونالدسون الأخرى أنه ادّعى أن الإمام المجتبي عليه السلام لم يكن على علاقة جيدة مع أبيه وأخوته قائلًا:
«وبعد وفاة فاطمة في شرخ صباها لم تكن علاقته مع أبيه وأخوته على أحسن ما يرام»^١.

وفي معرض الرد على هذا الكلام نقول: على النقيض تمامًا فإنّ العلاقة بين الإمام الحسن عليه السلام وأبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كانت على أحسن ما يرام ولم تكن علاقة والد وولد بل كانت علاقة معلم وتلميذ وهذا واضح تمامًا من خلال الوصية الخالدة التي تركها لولده الحسن عليه السلام بعد منصرفه من صفين. وكان الإمام علي عليه السلام يتعامل مع ولده الإمام الحسن عليه السلام كوزير له وتشهد له ذلك وقائع عصر خلافته (٣٥-٤٠ هـ / ٦٥٦-٦٦٠ م) فهو الذي حرّض أهل الكوفة لقتال أصحاب الجمل واستطاع أن يجمع لأبيه تسعة آلاف شخص^٢ وكان حاضرًا في حرب صفين وقد بذل فيه أقصى درجات التفاني في الدفاع عن الحق المتمثل في أبيه عليه السلام حتى منعه وأخاه الحسين عليه السلام من الحرب^٣ وكان كلما تعذّر في الخروج إلى الصلاة يستخلف ولده الحسن عليه السلام لذلك^٤، كما كان يوكل بعض مهام القضاء له أيضًا^٥.

١. دونالدسون، عقيدة الشيعة، ٨٩.

٢. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤: ٤٩٩ - ٥٠٠.

٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢١: ٢٤٤ و ١٦: ١١، ٢٤.

٤. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣: ٩.

٥. الكليني، الفروع من الكافي، ٧: ٢٩١ - ٢٩٢.

رابعاً

ومما ادعاه دونالدسون بغير وجه حق ونسبه إلى لإمام الحسن عليه السلام هي صفة التبذير قائلاً:

«وقد برهن عن كثرة تبذيره بأن خص كل امرأة من نسائه بهال كثير، فبرى بذلك كيف بذرت أموال طائلة خلال خلافة علي بالزمن الذي كانت الخلافة نفسها شديدة الافتقار»^١.

وهذا الكلام أيده روايات قليلة في المصادر السنية والشيعة^٢ والباحث المتخصص سيجد تلك الروايات روايات مرسلة من ناحية الإسناد والمراسيل لا يعول عليها وكما أسلفنا أن المحتوى لا يوازي شخصية الإمام الحسن المجتبي عليه السلام حيث توارث مبادئ الإسلام الصحيحة عن أبيه عليه السلام وجده المصطفى صلى الله عليه وآله في قلة المهور وتيسير أمر الزواج وعدم التبذير.

فأمه فاطمة عليها السلام قد دخلت بيت زوجها علي بن أبي طالب عليه السلام بالمهر اليسير وكانت حياتهم الزهد فكيف لا يكون ولدها الإمام الحسن المجتبي عليه السلام على منهاجها وقد كان بالفعل هكذا.

فقد روي أن الحسن بن علي قاسم الله تعالى ماله مرتين حتى تصدق بنعله ولقد حج الحسن ابن علي خمسا وعشرين حجة ماشياً وإن النجائب لتقاد معه^٣.

١. دونالدسون، عقيدة الشيعة، ٨٩ - ٩٠.

٢. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣٧٣: ٢؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٢١: ٤؛ الاربلي،

كشف الغمة في معرفة الأئمة، ١٨٣: ٢؛ النوري الطبرسي، مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، ٩٠: ١٥.

٣. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ١٨: ٤.

خامساً

وادعى دونالدسون أن معاوية كان يرسل للإمام الحسن (عليه السلام) الأموال وهو ييذرها فكانت النتيجة أنه مات بالسبل عندما بلغ بالعمر خمساً وأربعين سنة^١. وفي معرض الرد نقول: إنَّ الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) قد ورث مصادر أبيه علي (عليه السلام) المالية وهي كثيرة منها ما كان يملكه من أراض زراعية في منطقة ينبع^٢ المشتهرة بأبيار علي (عليه السلام) حالياً والتي جعلها في الصدقات^٣ وكانت مما أفاء الله على رسوله وقد أعطاها لعلِّي (عليه السلام) وكان علي (عليه السلام) ينفق على نفسه من مالها^٤ وكانت للإمام (عليه السلام) ممتلكات وموقوفات أخرى في أطراف المدينة من أملاكه وأملاك فاطمة الزهراء (عليها السلام) وقد أوصى بها لولده الحسن وجعلها وقفاً على بني هاشم^٥ فكان الإمام الحسن (عليه السلام) يدير أمر معاشه منها وكان يعين الشيعة على أمور معيشتهم من تلك الأموال فقد أقطع أبي رافع أرضاً من صدقات ينبع وأعطاه داراً^٦ وكان هو الوصي بعد أبيه فله تلك الأملاك والعقارات والأراضي الزراعية مع الأموال الشرعية التي كانت تجبى إليه من قبل الشيعة فلا حاجة له في مال معاوية وهو سيد شباب أهل الجنة وأعلم بحلالها من حرامها.

١. دونالدسون، عقيدة الشيعة، ٩٠.

٢. قال ياقوت: «... ينبع حصن به نخيل وماء وزرع وبها وقوف لعي ابن أبي طالب (عليه السلام) يتولاها ولده...» ينظر: الحموي، معجم البلدان، ٥: ٥١٣.

٣. ابن شبة، كتاب تاريخ المدينة المنورة أو أخبار المدينة، ١: ١٣٦ - ١٣٧.

٤. الكليني، الكافي، ٧: ٥٤.

٥. الثقيفي، الغارات أو الاستنفاذ والغارات، ٤٤ - ٤٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٤: ١١٢.

٦. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٤: ٢٤٤ - ٢٤٥؛ الطوسي، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، ٩: ١٤٦ - ١٤٨.

٧. الأربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ١: ١٤٥.

وكان الإمام الحسن عليه السلام قد أدرج بعض البنود المالية في وثيقة الهدنة مع معاوية وهذا نابع من معرفة الإمام بأن الحاكم الإسلامي لابدّ من أن يدير اقتصاد الأمة فشرط على معاوية تعويض عوائل شهداء حرب صفين والجمل بمبلغ مليون درهم^١ وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبد شمس ويستثني بيت مال الكوفة فهو تحت تصرفه وأن يعطي أخاه الحسين عليه السلام كل عام مليوني درهم ويجعل له خراج دارابجرد في ولاية فارس وألا يمنع أحدًا من شيعة علي عليه السلام عطاءه^٢، ولكي يكشف للأجيال القادمة أن الإمام الحسن عليه السلام كان حريصًا شديد الحرص على اقتصاد شيعته.

أما ما ذهب إليه المستشرق دونالدسون من أن الإمام مرض بداء السل نتيجة تبذير الأموال ولعله قصد أنه تعرض لداء السل نتيجة إسرافه في الأكل والشرب فنقول: هذا ادعاء باطل لأنه علميًا لم يكن هناك من دليل على أن الإسراف في الأكل والشرب يورث السل ومن ثم لم يشر إلى مصدر هذه المعلومة فهو أطلقها على عواهنها والمصادر تكاد تتفق على أن الإمام الحسن عليه السلام توفي نتيجة السمّ وعلى يد زوجته جعدة بنت الأشعث وبأمر ودسٍ من معاوية^٣ وأن مثل هذه الأمراض تُعدّ من العاهات ونعتقد نحن الشيعة الإمامية أن المعصومين عليهم السلام منزّهون من الإصابة بمثل هكذا عاهات في أبدانهم.

١. الدينوري، الأخبار الطوال، ٢١٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥: ١٦٢ - ١٦٥؛ الصدوق، علل الشرائع، ١: ٢٤٩ - ٢٥٠.

٢. البلاذري، أنساب الأشراف، ٢: ٣٩٥ - ٣٩٦؛ يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ٢: ١٣٢؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣: ٥.

٣. البلاذري، أنساب الأشراف، ٢: ٣٩٥ - ٣٩٦؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣: ٥.

عرض نقدي لمصادر دونالدسون في عرضه لسيرة الإمام الحسن عليه السلام

تعرض المستشرق البريطاني دونالدسون في تحليله لمختلف جواب سيرة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام إلى مختلف التخرصات والشطحات وذلك نظراً لعدم اعتماده على المصادر الرئيسة في استحصال المعلومة الدقيقة فقد اعتمد على مصادر ثانوية غير معتبرة وقصصية مثل كتاب جنات الخلود وروضة الشهداء وعقائد الشيعة في فوائد الشريعة وخلاصة الأخبار وسنستعرض هذه الكتب، وهي مصادر متأخرة جداً وقد صنفت للطبقة العامة من الناس وأهداها مؤلفوها لبعض الملوك والوزراء في الدولتين الصفوية والقاجارية وأن معظمها لم تر النور ولم تحقق وقد حصل دونالدسون إما على النسخة المخطوطة لهذه الكتب أو الطبعة الحجرية كما تجد ذلك في مصادر كتابه^١:

١. كتاب روضة الشهداء وهو كتاب يتصف بالكشكول كما وصفه الشيخ آقا بزرك الطهراني بالملمع^٢ فهو كتاب غير تاريخي وكتب لغرض القراءة على المنابر^٣ وهو باللغة الفارسية للمولى الواعظ الحسين بن علي الكاشفي البيهقي المتوفى في حدود ٩١٠هـ / ١٥٠٤م وهو مرتب على عشرة أبواب وخاتمة فيها ذكر أولاد السبطين وجملة من السادات والكتاب يحتوي على مجموعة من الأخبار عن سيرة النبي صلى الله عليه وآله والسيدة الزهراء^٣ والأئمة المعصومين عليهم السلام والاختصار واضح في ذكره للأئمة من بعد الحسين عليه السلام^٤.

٢. ومن مصادر دونالدسون كتاب جنات الخلود وهو يتصف بالكشكول أيضاً

١. دونالدسون، عقيدة الشيعة، ٣٥٩ - ٣٦٣.

٢. آقا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ١١: ٢١٢.

٣. م.ن.

٤. م.ن.

وهو من تأليف الميرزا محمد رضا بن محمد مؤمن الإمامي المدرس المتوفى بعد سنة ١١٢٨ هـ / ١٧١٦ م باللغة الفارسية يحتوي على شرح أسماء الله الحسنى ومعرفة أنبيائه العظام وتواريخ كل واحد من المعصومين الأربعة عشر عليه السلام والأخلاق المشتركة بينهم، وتواريخ ملوك الأرض والسلاطين الأمويين والعباسيين وبيان الملل والنحل وبعض أحوال البلدان من المسافة والعرض والطول ومعرفة جهة القبلة والسفر وما يتعلق بالأيام والشهور وقد صدره باسم الشاة السلطان حسين الصفوي^١ (١١٠٦ - ١١٣٥ هـ / ١٦٩٥ - ١٧٢٣ م) وبالجملة فإنّ نسخ الكتاب الموجودة لا تفوق السبعين ورقة^٢ ومع تلك المواضيع الكثيرة كيف تريد أن يكتب المؤلف بشكل دقيق عن سيرة الإمام الحسن عليه السلام.

٣. المصدر الآخر الذي اقتبس منه دونالدسون هو كتاب خلاصة الأخبار للسيد محمد مهدي بن محمد جعفر الموسوي التنكابني المتوفى بعد سنة ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٨ م باللغة الفارسية في قصص الأنبياء والمرسلين والأئمة عليهم السلام ومناقبهم ومعجزاتهم وبعض الأخلاق وبعض ما يتعلق بالمصادر والرجعة وأحوال الحجة^٣ والملاحظ أنه أيضًا يتخذ الكتاب الطابع القصصي وهو متأخر أيضًا.

٤. وأخيرًا نلاحظ أن دونالدسون قد اعتمد على كتاب غير معتبر آخر وهو كتاب عقائد الشيعة تأليف الحاج ميرزا آقاسي وزير السلطان محمد شاه الثاني القاجاري (١٢٥٠ - ١٢٦٤ هـ / ١٨٣٤ - ١٨٤٨ م) وقد استخدم طبعة حجرية لهذا الكتاب وقد ذكره الشيخ آغا بزرك الطهراني باختصار شديد لكنه لم يذكر ما إذا كان له من مخطوط واكتفى بالاقتباس من تلخيص الكتاب بالإنكليزية

١. آقا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ١٠٧: ٥.

٢. درايي، فهرست واره دست نوشته هاي ايران، ٣: ٧٢٥ - ٧٢٦.

٣. آقا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ٧: ١٥٠.

على المستشرق إدوارد براون^١. وكان حرياً بالمستشرق دونالدسون أن يستقي معلوماته من المصادر القديمة من كتب الشيعة الروائية والتي ذكرت تواريخ المعصومين (عليه السلام) لا أن يستعين بكتب قصصية متأخرة صنفت لفهم العوام. ومن مصادره الأخرى هي نتاجات بعض المستشرقين الآخرين من صنفه وأبرزهم المستشرق البلجيكي لامنس والأنجليزي ويليام موير وكلا المستشرقين هذين عرفا بعدائهما الشديد للإسلام والنبى (صلى الله عليه وآله).

أما الأب اليسوعي البلجيكي الحاقدهنري لامنس فهو شديد التعصب حاقده على الإسلام ويستغل الروايات الواهنة ويغير تعابيرها ومعانيها لصالح أفكاره الشاذة فهو لا يراعي أدنى شروط الأمانة العلمية وقد وصفه عبد الرحمن بدوي في موسوعة المستشرقين قائلاً: «وأبشع ما فعله.. هو أنه كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحاتها، وقد راجعت معظم هذه الإشارات في الكتب التي أحال إليها فوجدت أنه إما أن يشير إلى مواضيع غير موجودة إطلاقاً في هذه الكتب أو يفهم النص فهمًا ملتويًا خبيثاً أو يستخرج إلزامات بتعسف شديد يدل على فساد الذهن وخبث النية»^٢.

ونكمل الصورة هنا بما قاله جورج جرداق عن لامنس في كتابه الإمام علي (عليه السلام) صوت العدالة الإنسانية: «وقد جعل لامنس همه الأول تمجيد معاوية وبني أمية واختلاق العلل التي يريد بها أن يجعل علياً في درجة لا تسمو إلى درجة معاوية! ولا منس لم يستعمل علمه الغزير في خدمة الحقيقة ولم يلجأ إلى إثبات الأسانيد الضخمة في مصنفاته تجلية للواقع وإيضاحاً لما خفي على سواه من أمور بل أساء

١. م. ن. ١٥، ٢٠٦.

٢. بدوي، موسوعة المستشرقين، ٥٠٤.

إلى علمه وسعة اطلاعه بأن جعل همه أن يعاكس ما أثبتته التاريخ وما يثبتته العقل والمنطق وطبيعة الحوادث بل إنه ليعاكس العاطفة الموالية التي يستحقها المرء إزاء أولئك العظماء من المسلمين الأول ويحاول أن يخطئ كل عطف يحسُّه الإنسان على الجانب الإنساني الخير في الطيبين والخيرين»^١.

أما السير ويليام موير فهو الآخر كان حاقداً على الإسلام وكان مبشراً مسيحياً في الهند ما بين الأعوام ١٨٣٧ حتى ١٨٧٦ وقد سعى بشكل مغرض وحقير أن يثبت المسيحية واليهودية من خلال القرآن الكريم^٢.

الخاتمة

توصل هذا البحث إلى النتائج الآتية:

تعد دراسة المستشرق البريطاني دوايت م. دونالدسون من الدراسات الاستشراقية المبكرة التي شملت الأئمة الإثني عشر عليهم السلام كما شملت الدراسة الجغرافيا التاريخية لمزاراتهم.

لم يكن المستشرق البريطاني دونالدسون حريصاً على أخذ المعلومة عن المصادر الشيعية الأولية وبشكل دقيق وفي أغلب الأحيان نجده يكتفي ببعض المصادر التاريخية العامة ويعول على القصص غير المعتبرة منها.

وقد وقع في أخطاء جسام وشطحات غير مغتفرة عند ذكره لسيرة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام منها:

ادّعى أن الإمام الحسن عليه السلام كانت تنقصه الشجاعة والحنكة السياسية وأنه كان

١. جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ٥: ٢٣٨-٢٣٩.

٢. بدوي، موسوعة المستشرقين، ٥٧٨.

يطلب الراحة وهذا بعيد كل البعد عن شخصه الكريم ومنهجه الرسالي القويم وقد رأينا ثبات شخصيته والحكمة فيما قام به في هدنته مع معاوية.

أثار قضية زيجات الإمام الحسن عليه السلام المتعددة المفتراة عليه أساساً وقد ناقشنا الروايات الواردة في هذا الشأن في مصادر السنة والشيعه وبيّنا زيفها.

ذكر أن الإمام المجتبي عليه السلام لم يكن على علاقة جيدة مع أبيه وأخوته وقد ثبت خلاف ذلك الأمر إذ هو الوصي بعد أبيه والقائم بمقامه في مهام الإمامة الإلهية ومن بعده أخوه الإمام الحسين عليه السلام فكانت العلاقة ربانية فيما بينهم في أعلى مستوى من السمو والرقى كما خطط لها الباري عز وجل.

نسب للإمام الحسن عليه السلام صفة التبذير من خلال الإسراف في مهوور زوجاته وهذا بعيد كل البعد عن خلقه السامي وقد أثبتنا تعداد زوجاته وأمر الإسراف فهو بعيد عنه لأنه عاش حياة بالغة في الزهد والتقشف عن لذائذ هذه الدنيا الدنيئة.

كما وصل به الأمر أنه ادّعى أن الإمام الحسن عليه السلام كان يستعين بأموال معاوية ابن أبي سفيان في تمشية معاشه ولعله توهم ذلك من خلال ما ورد من البنود المالية في وثيقة الهدنة بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية التي لم يف بها معاوية وقد أثبتنا خلاف ذلك وهو ما كان يملكه الإمام عليه السلام من الأموال والصدقات الجارية التي ورثها من أبيه في المدينة وما كان يملكه هو جعلته غنيّاً عن المال الحرام فكان مع ما يملكه من ثروة يعيش عيشة زهد وورع وتقى مستنّاً بسيرة أبيه وأمه وجده عليهم السلام.

المصادر

١. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢.
٢. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، اعتنى بتصحيحها: عادل أحمد الرفاعي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦.
٣. ابن الأعمش الكوفي، أبو محمد أحمد (توفي في حدود ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م)، الفتوح، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار الأضواء، ١٩٩١.
٤. ابن سبّة، عمر بن سبّة زيد البصري (ت ٢٦٢ هـ / ٨٧٦ م)، كتاب تاريخ المدينة المنورة أو أخبار المدينة، علق عليه وخرج أحاديثه: علي محمد دندل وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦.
٥. ابن شهر آشوب، محمد بن علي المازندراني (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: يوسف بقاعي، ط ٢، بيروت، دار الأضواء، ١٩٩١.
٦. ابن عساكر، علي بن الحسن الشافعي الدمشقي (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م)، تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق، عمر بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥.
٧. أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين الأموي القرشي (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م)، مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق: أحمد صقر، منشورات بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٨.
٨. الأربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ م)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط ٢، بيروت، دار الاضواء، ١٩٨٥.
٩. آقا بزرگ الطهراني، محمد محسن بن علي بن محمد رضا (ت ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، مراجعة وتصحيح وتدقيق: رضا بن جعفر مرتضى العاملي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٩.
١٠. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط ٤، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣.
١١. البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م): أنساب الأشراف، تحقيق: محمود فردوس العظم، دمشق، دار اليقظة العربية، ١٩٩٧.

١٢. البلداوي، وسام برهان، القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن ٧، كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠٠٨.
١٣. الثقفى، إبراهيم بن محمد (ت ٢٨٣هـ / ٨٩٦ م)، الغارات أو الاستنفاذ والغارات، حققه وعلق عليه: عبد الزهراء الحسيني الخطيب، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٧.
١٤. جرداق، جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٧٠.
١٥. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م)، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قاطناتها من غير أهلها ووارديها، حققه وعلق عليه، بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١.
١٦. درايي، مصطفى، فهرست واره دست نوشته هاي ايران، طهران، كتابخانه موزه ومركز اسناد مجلس شوراي اسلامي، ٢٠٠٨.
١٧. دونالدسون، دوايت. م، عقيدة الشيعة، ترجمة: ع. م. ط ٢، بيروت، مؤسسة المفيد، ١٩٩٠.
١٨. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة، جمال الدين الشيال، القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، ١٩٦٠.
١٩. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤.
٢٠. الصدوق، محمد بن علي (ابن بابويه) (ت ٣٨١ هـ / ٩٩١ م)، علل الشرائع، صححه وعلق عليه وقدم له، الشيخ حسين الأعلمي، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٨.
٢١. ———، من لا يحضره الفقيه، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، ط ٤، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٦.
٢٢. الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)، الاحتجاج على أهل اللجاج، تعليق، السيد محمد باقر الموسوي الخراساني، ط ٣، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٠.
٢٣. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣.

٢٤. الطبري، محمد بن جرير بن رستم (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)، دلائل الإمامة، ط٢، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٨.
٢٥. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م)، إختيار معرفة الرجال، تحقيق، جواد القيومي الاصفهاني، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٧ هـ.
٢٦. ———، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، حققه وعلق عليه: حسن الموسوي الخرسان، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٠.
٢٧. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م)، الفروع من الكافي، صححه وقابله وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، ط٤، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٩٩٦.
٢٨. لامنس، هنري، دائرة المعارف الإسلامية، مادة «الحسن بن علي بن أبي طالب»، نقله إلى العربية: محمد ثابت الفندي وآخرون، بيروت، دار المعرفة.
٢٩. المسعودي، علي بن الحسين الهذلي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة.
٣٠. المقدسي، المطهر بن طاهر (توفي بعد ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م)، البدء والتاريخ، اعتنى بنشره: كليان هيوار، بغداد، مكتبة المثنى.
٣١. المقرئ، أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)، إمتاع الأسماع بما للنبى (صلى الله عليه وآله) [وسلم] من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق وتعليق، محمد عبد الحميد النميسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩.
٣٢. النوري، الميرزا حسين (ت ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ط٣، بيروت، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٩٩١.
٣٣. الناصري، رياض محمد حبيب، الواقفية دراسة وتحليل، مشهد، المؤتمر العالمي للإمام الرضا ١٤٠٩، ٧.
٣٤. النجاشي، أحمد بن علي الأسدي الكوفي (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م)، فهرست أسماء مصنفى الشيعة، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، ط٧، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٤ هـ.

٣٥. النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى (توفي قبل ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)، فرق الشيعة، صححه وعلق عليه: محمد صادق آل بحر العلوم، النجف الأشرف، المكتبة المرتضوية، ١٩٣٩.
٣٦. الهاشمي البصري، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م)، ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير، تهذيب وتحقيق: عبد العزيز الطباطبائي، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٦.
٣٧. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية.
٣٨. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (توفي بعد ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٣.